

الفصل الثاني

العلم والاجتهاد

- طلب العلم •
- الفراسة وعلم النفس •
- حفظ الحديث النبوي •
- الاجتهاد الفقهي والخلاف •
- التأسى بالصحابة •
- الفرق •
- القياس الفقهي •

obeikandi.com

طلب العلم

– « من خرج فى طلب العلم حفته الملائكة بأجنحتها وصلت عليه الملائكة فى السماء والحيتان فى البحر ، ونزل من الله بمنازل سبعين من الشهداء » ..

قال الدارقطنى : هذا باطل موضوع .. وقد أخرج فى الغرائب من رواية القاسم بن ابراهيم الملقب عن مالك عن الزهرى عن أنس رضى الله عنه – رفعه ، والقاسم كذاب (لسان الميزان : ١٤١٠ والكنى لابن حجر: ٧٤) .

– « العلم علمان : علم فى القلب فذلك العلم النافع . وعلم على اللسان فذلك حجة الله على ابن آدم » .. ضعيف .

– « اطلبوا العلم ولو بالصين » .. باطل ..

– « ليس من أخلاق المؤمن الملق الا فى طلب العلم » – وفى رواية : « لا حسد ولا ملق الا فى طلب العلم » .

قال الألبانى : موضوعان . وفى قوله نظر ، فقد أخرج ابن عدى الأول من حديث معاذ وأبى امامة باسنادين ضعيفين ، كما قال الحافظ العراقى ، فليس موضوعا كما زعم الألبانى . والمراد من الحديث التواضع للمعلم ، وطلب الثواب والشرف بخدمته ، قال الشعبى : صلى زيد بن ثابت على جنازة ، فقربت اليه بغلته ليركبها ، فجاء ابن عباس فأخذ بركابه . فقال زيد : خل عنه يا ابن عم رسول الله ﷺ . فقال ابن عباس : هكذا أمرنا أن نفعل بالعلماء . فقبل زيد بن ثابت يده وقال : هكذا أمرنا أن نفعل بأهل نبينا ﷺ . رواه الطبرانى والحاكم والبيهقى فى المدخل الا أنهم قالوا : « هكذا نفعل » بدون لفظ « أمرنا » قال الحاكم . صحيح الاسناد على شرط مسلم .

ومما استدل به على أن العلم لا ينال الا بالتواضع والقاء السمع للعلماء قوله تعالى : « ان فى ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد » (١) . ومعنى كونه ذا قلب أن يكون قابلا للعلم فهما ، ثم انه لا تعينه القدرة على الفهم حتى يلقى السمع وهو شهيد ، حاضر القلب

(١) سورة ق : ٣٧

ليستقبل كل مالقى اليه بحسن الاصغاء والضراعة والشكر والفرح وقبول
المنة .

- « من غض صوته عند العلماء كان يوم القيامة مع الذين امتحن الله
قلوبهم للتقوى من أصحابي ، ولا خير في التملق والتواضع الا ما كان
في الله او في طلب العلم » .
أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس باسناد مظلم . وقال الألبانى :
حديث منكر .

أقول : يرجع أصل الحديث الى ما تدل عليه آيات القرآن « واغضض
من صوتك » (٢) ، « ان الذين يغضون أصواتهم عند رسول الله أولئك
انذين امتحن الله قلوبهم للتقوى » (٣) . . . فهى من كلمات العلماء وحرفت
كلمة « من أصحابه صلى الله عليه وسلم » الى لفظ « من أصحابي » فشاعت حديثا .
- « اتبعوا العلماء فانهم سرج الدنيا ومصابيح الآخرة » .
حكمة ، وليس حديثا . . . ومن أثبته حديثا فهو من الأحاديث
الموضوعة .

- « علماء أمتى كأنبياء بنى اسرائيل » .
لا أصل له باتفاق العلماء . وهو مما يستدل به القاديانية على بقاء
النبوة بعده صلى الله عليه وسلم .

- « يوزن يوم القيامة مداد العلماء ، ودم الشهداء ، فيرجح مداد
العلماء على دم الشهداء » . . . موضوع .

- « الحكمة ضالة المؤمن : حيثما وجد المؤمن ضالته فليجمعها اليه » .
رواه القضاعى (٤) فى مسنده مرسلا عن زيد بن أسلم - رفعه ،
وبمعناه رواه الترمذى والقضاعى أيضا عن أبى هريرة .
وأخرجه البيهقى عن سعيد بن أبى بردة قال : كان يقال : « الحكمة
ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها » وعن عبد الله بن عبيد بن عمير قال :
كان يقال : الحكمة ضالة المؤمن يغدو فى طلبها . وهذه الصيغة تشعر
بأنها من قبيل الحكم والأمثال السائرة .

(٢) لقمان : ١٩ . (٣) الحجرات : ٣ .
(٤) القضاعى : القاضى عبد الله بن محمد بن سلامة القضاعى ،
مؤلف كتاب « المختار فى ذكر الخطط والآثار » .

ورواه العسكرى عن أنس - رفعه ، بلفظ : « خذوا الحكمة ممن سمعتموها ، فإنه قد يقول الحكمة غير الحكيم ، وتكون الرمية من غير رام » ، وأسانيدها ضعيفة .

- « اذا رأيتم رياض الجنة فارتعوا . قالوا : وما رياض الجنة يا رسول الله ؟ قال : حلق العلم » . - وفى رواية - « حلق الذكر » .
قال ابن حجر فى اللسان - عند ذكر محمد بن اسحاق الصيرفى - المعروف بأبى ذر : انه يروى باسناد عن مالك عن نافع . . ومالك هذا وضاع ، وأبو ذر هذا كان ضعيفا . . فالحديث من غرائب مالك ، فهو موضوع باطل .

- « اذا أتى على يوم لا أزداد فيه علما يقربنى فيه الى الله تعالى ، فلا بورك لى فى طلوع شمس ذلك اليوم » . - وفى رواية : « اذا أتى على يوم لم أزد فيه خيرا فلا بورك لى فيه » .
من الأحاديث الموضوعية ، ويبدو أنه من كلام عالم عن نفسه ، رفع الى الرسول خطأ . فهما من باب العظة والتوجيه غير النبوى ، وان كان فضل تحصيل العلم كبيرا ، وحسبه ان أول آية نزلت فيه : « اقرأ باسم ربك الذى خلق » (٥) .

وان آخر البحوث العلمية تؤكد أهمية العلم فى التنمية ، وفى دراسة للبنك الدولى عن التنمية والعلم ، تبين منها أن التعليم الابتدائى يجعل العامل يعطى عائدا بنسبة (٢٧٪) فى ٢٢ دولة نامية ، بينما التعليم الثانوى يجعل العطاء بزيادة (١٦٪) عما يعطيه ذو التعليم الابتدائى . كما أن عائد ذوى التعليم العالى يزيد بنسبة (١٢٪) عن التعليم الثانوى . . ولهذا كانت التوصية هى أن تعطى الأولوية فى الخدمات للتعليم فى الدول النامية .

● فضل السؤال :

- « العلم خزائن ، ومفتاحها السؤال » .
أخرجه أبو نعيم (١٩٢/٣) . وهو موضوع . . لا يقال الا من باب الحكم والأمثال السائرة .

(٥) العلق : ١

– « الاقتصاد فى النفقة نصف المعيشة ، والتودد الى الناس نصف العقل ، وحسن السؤال نصف العلم » .

رواه البيهقى والعسكرى وابن السنى والديلمى والقضاعى عن ابن عباس مرفوعا – وفى رواية عن ابن عباس مرفوعا : « ما عال من اقتصد » وشواهدة تجبر ضعفه ، وتجعله حسنا . (كشف الخفاء : ٤٧٦/١) .

● مراعاة مستوى المخاطب :

– « انا معاشر الانبياء امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » . (كشف الخفاء : ٥٩٢/١) – وفى رواية بلفظ : « بعثنا معاشر الانبياء نخاطب الناس على قدر عقولهم » .

قال ابن حجر : رواه يحيى بن مالك بن أنس الأصبحى ، قال العقيلى : يحيى حدث عن أبيه بمناكير . وقال : مسلمة بن قاسم – من رجال السند – يضعف ، ولكن ذكره ابن حبان فى الثقات . وقال : سكن اليمن ، وحدث عن أبيه الموطأ ، مستقيم الحديث . وقد روى هذا الحديث عن انس مرفوعا . والصحيح أنه روى مرسلا عن سعيد بن المسيب ، وأن له شواهد ، فقد رواه الديلمى عن ابن عباس بلفظ : « امرنا ان نكلم الناس على قدر عقولهم » – وفى رواية عن ابن عباس أيضا – « امرت ان اخاطب الناس على قدر عقولهم » ، والروايتان ضعيفتان . ولكن تضافر هذه الروايات يقوى بعضها بعضا . . وجاء هذا المعنى فى صحيح البخارى موقوفا عن على ، كما فى صحيح مسلم مثله عن ابن مسعود موقوفا .

● فى الشعر :

– « من رأيتموه ينشد شعرا فى المسجد فقولوا له : فض الله فاك (٦) ثلاث مرات » .

أخرجه النووى فى الأذكار (ص ٢٧) ، وأسنده الى ابن السنى باسناده عن ثوبان . قال ابن حجر : ثوبان المذكور فى هذا الحديث ليس هو المشهور – مولى رسول الله ﷺ – بل هو آخر لا يعرف الا فى هذا الاسناد ، فهو لهذا حديث ضعيف .

(٦) أخطى منه من الأسنان ، مثل قول بعضهم : « كسر أسنانه » .

- وفى صحيح البخارى موقوفا . عن على رضى الله عنه : « حدثوا الناس بما يعرفون ، أتحبون أن يكذب الله ورسوله » ؟
- وفى صحيح مسلم عن ابن مسعود قال : « ما أنت بمحدث قوما حديثا لا تبلغه عقولهم الا كان فتنة عليهم » ، ومثله كثير رواه الديلمى عن ابن عباس .
- وصح عن أبى هريرة : « حفظت وعاءين عن النبى ﷺ ، فأما احدهما فبثنته ، وأما الآخر فلو بثنته لقطع هذا البلعوم » .
- عن ابن عباس مرفوعا : « عاقبوا أرقاءكم على قدر عقولهم » رواه الديلمى وأخرج الدارقطنى عن عائشة مثله .
- « خالقوا الناس بأخلاقهم » . رواه الحاكم عن أبى ذر مرفوعا وقال : صحيح على شرط الشيخين ، وبمعناه ما أخرجه الطبرانى وابو الشيخ . عن ابن مسعود مرفوعا :
- « خالط الناس بما يشتهون ، ودينك فلا تكلمنه » يعنى لا تخدشه .
- وعن على مرفوعا : « خالق الفاجر مخالفة ، وخالص المؤمن مخالصة ، ودينك لا تسلمه لأحد » .
- وفى الحديث أيضا « خالطوا الناس على قدر ايمانهم » .
- ويبدو الوهن فى الحديثين الأخيرين ، وان يكن المعنى صحيحا .
- « حبك للشئ يعمى ويصم » . . . ضعيف .
- « خير الأمور الوسط » . . . حديث ضعيف . يجوز التكلم به كمثل سائر وحكمة مشهورة .
- « تفكر ساعة فى اختلاف الليل والنهار خير من عبادة ألف سنة » - وفى رواية : « فكرة ساعة خير من عبادة ستين سنة » .
- موضوعان : وان كان التعبد بالتفكر فى خلق السموات والأرض ، واختلاف الليل والنهار من العبادات التى أثنى عليها القرآن والسنة .
- « ويتفكرون فى خلق السموات والأرض ربنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك » (٧) .

(٧) آل عمران : ١٩١

- « من ازداد علماً ولم يزد في الدنيا زهداً لم يزد من الله إلا بعداً » .

- « من كتم علماً مما ينفع الله به الناس في أمر الدين الجمه الله يوم القيامة بلجام من نار » .

ضعيف . والصحيح هو ما رواه أبو داود والعقيلي عن ابن مسعود مرفوعاً : « من كتم علماً عن أهله أجم يوم القيامة لجاماً من نار » .

- « من عمل بما يعلم ورثه الله علم ما لا يعلم » . . موضوع .

- « يوشك أن يضرب الناس أكباد الأبل يطلبون العلم فلا يجدون أحداً أعلم من عالم المدينة » .

قيل : ضعيف . وأحسبه من الموضوعات .

- « عالم قریش يملأ الأرض علماً » يعنى الشافعى . . موضوع .

- « من تعلم علماً لغير الله فليتبوا مقعده من النار » .

ضعيف بهذا اللفظ وله شاهد من الصحيح رواه أبو هريرة قال : « من تعلم العلم ليباهى به العلماء أو يمارى به السفهاء . أو يصرف به وجوه الناس إليه أدخله الله جهنم » .

- « من خرج في طلب العلم فهو في سبيل الله حتى يرجع » . . ضعيف .

* * *

الفراسة وعلم النفس

- « اتقوا فراسة المؤمن . فانه ينظر بنور الله » .
رواه ابن عرفة عن أبي سعيد مرفوعا بهذا اللفظ وفيه زيادة « فانه ينظر بنور الله » . وفي اسناده محمد بن كثير الكوفى ، وهو ضعيف جدا ، ويشهد له حديث عثمان حين دخل عليه قوم فيهم من نظر الى من لا تحل له . فقال عثمان : ما بال أقوام يدخلون علينا وعلى وجوههم آثار من زنا . فقيل له : أوحى بعد محمد عليه الصلاة والسلام ؟ فقال : لا .
– « اتقوا فراسة المؤمن » .

هكذا أخرجه الترمذى الحكيم فى نوادر الأصول عن أبى سعيد الخدرى مرفوعا وقال : هذا حديث غريب . فى اسناده عطية العوفى وهو مدلس . ولكن مما يشهد له قول القرآن فى التوسم: «ان فى ذلك لآيات للمتوسمين» (١) أى فيما حل بديار قوم لوط من الدمار والعذاب دلالات وعلامات للمعتبرين ، المتأملين بعين البصر والبصيرة (٢) . . . ومما يشهد له فيقوى ضعفه ما رواه الترمذى الحكيم أيضا من حديث ثابت عن أنس قال : قال رسول الله ﷺ : « ان لله عز وجل عبادا يعرفون الناس بالتوسم » .
– « ما اسر عبد سريرة الا ألبسه الله رداءها . ان خيرا فخير وان شرا فشر » .

- من كلام الحكماء . والروايات التى ترفعه الى الرسول ضعيفة جدا . وهو كقول على رضى الله عنه : « ما أضمر أحد شيئا الا ظهر فى فلتات لسانه وصفحات وجهه » وفى القرآن الكريم : « سيماهم فى وجوههم من أثر السجود » (٣) .
وفى القرآن أيضا : « ولو نشاء لأريناكم فلعرفتهم بسيماهم ، ولتعرفنهم فى لحن القول » (٤) . .
فهذا الحديث وان تهرأ اسناده ، سبق علمى بمضمونه ومعناه . .
او هو سبق علمى لحكماء المسلمين .

● الأنساب :

- « أكرموا عمتمك النخلة . فانها خلقت من طينة أبيكم آدم » .
موضوع . وكذا كل ما فيه لفظ «عماتكم النخل» او «عمتمك النخلة» .

(١) الحجر : ٧٥ (٢) صفوة التماسير : ١١٤/٢
(٣) التفتح : ٢٩ (٤) محمد : ٣٠

– «كذب النسابون» ، قال الله تعالى : «وقرؤنا بين ذلك كثيرا» (٥) .
 الحديث موضوع ٠٠ وقد ورد فى رفع الأنساب بعد عدنان الى
 اسماعيل بن ابراهيم ، ثم منهما الى نوح ثم آدم ٠٠ فهو وان لم يكن حديثا
 فهو تعبير عن حقيقة علمية كذلك .
 .. « انما بعثت معلما » .

أخرجه الدارمى من طريق عبد الله بن يزيد (٩٩/١) وابن وهب فى
 مسنده (١٦٤/٨ - ١) ، وعبد الله بن المبارك فى الزهد (٢٢٠/٢)
 والطيالسى (ص ٢٩٨ - رقم ٢٢٥١) كلهم عن عبد الرحمن بن زياد بن أنعم
 الإفريقى ، عن عبد الرحمن بن رافع عن عبد الله بن عمرو ان رسول الله
 ﷺ مر بمجلسين فى مسجده فقال : « كلاهما على خير ، وأحدهما أفضل
 من صاحبه . أما هؤلاء فيدعون الله ويرغبون اليه ، فان شاء أعطاهم
 وان شاء منعهم ، وأما هؤلاء فيتعلمون الفقه والعلم ، ويعلمون الجاهل ،
 فهم أفضل ، وانما بعثت معلما » .
 وهو ضعيف الاسناد لضعف عبد الرحمن بن زياد ، وعبد الرحمن
 ابن رافع . والبديل عنه : « انما بعثت لأتمم صالح الأخلاق » .

● أثر البيئـة :

– « المرء على دين خليله ، فلينظر أحدكم من يخالل » .
 قال ابن الجوزى : موضوع . وتعقبه فى المقاصد فقال : أخرجه
 ابو داوود والترمذى . والصواب : « الرجل على دين خليله . فلينظر
 أحدكم من يخالل » .
 رواه ابو داوود والترمذى عن أبى هريرة . ودرجته حسن .
 – « روحوا عن القلوب ساعة فانها تمل كما تمل الأبدان »
 جاء فى نهاية الأرب : وهو من أقوال على بن أبى طالب . وليس
 حديثا مرفوعا ، ويقال انه ضعيف .
 – « جبلت القلوب على حب من أحسن اليها ، وبغض من أساء
 اليها » .

قال فى المقاصد : باطل ، وهو كقول صفى الدين الحلى :
 أحسن الى الناس تستعبد قلوبهم
 فطالما استعبد الانسان احسان

حفظ الحديث النبوي

– « من حفظ على أمتي أربعين حديثا من أمر دينها .. بعثه الله يوم القيامة فقيها ، وكنت له شافعا وشهيدا » .

رواه النووي في مقدمة الأربعين حديثا النووية عن علي بن أبي طالب مرفوعا ، وله عدة طرق كلها تالفة لا ترفعه عن درجة الضعيف ، قال ذلك النووي وغيره . ورواه ابن عبد البر ، وضعفه ، وقال في الذيل : هو من إباطيل إسحاق الملقى .

● ما قيل في موافقة السنة للقرآن والعكس :

– « إذا حدثت عن حديثا تعرفونه ولا تنكرونه ، قلته أو لم أقله ، فصدقوا به ، فإني أقول ما يعرف ولا ينكر ، وإذا حدثت عن حديثا تنكرونه ، قلته أو لم أقله ، فلا تصدقوا به ، فإني لا أقول ما ينكر ولا يعرف » ..

قال البيهقي : قال ابن خزيمة : في صحة هذا الحديث مقال : لانا لم نر في شرق الأرض ولا غربها أحدا يعرف خبر ابن أبي ذؤيب من غير يحيى بن آدم ، ولا رايت أحدا من علماء الحديث يثبت هذا عن أبي هريرة . قال البيهقي : وهو مختلف على يحيى بن آدم في أسناده ومثنته اختلافا كبيرا يوجب الاضطراب . منهم من يذكر أبا هريرة ، ومنهم من لا يذكره ويرسل الحديث (١) .

وقال ابن حزم الأندلسي : هذا حديث مرسل ، في أسناده الأصبخ وهو مجهول ، وفيه أيضا ما نقطع بكذبه وعدم صحته ، وهو قوله : « فصدقوا به ، ما قلته أو لم أقله » ، فحاشا لرسول الله ﷺ أن يسمح بالكذب عليه ، وهو الذي تواتر عنه قوله : « من كذب على متعمدا فليتبوا مقعده من النار » .

ثم قال ابن حزم : في حديث « إذا حدثت » ، عبيد الله بن سعيد – أحد رواة الحديث – كذاب مشهور ، وهذا هو نسبة الكذب إلى رسول الله ﷺ أنه حكى عنه أنه قال : « لم أقله فأنا قلته » ، فكيف يقبل ما لم يقل ؟ هل يستجيز هذا إلا كذاب زنديق كافر أحمق (٢) .

(١) مفتاح الجنة ، ص ١٩ (٢) الاحكام لابن حزم : ٧٨/٢

ولكن للحديث رواية أخرى من طرق مقبولة ، ليس فيها « قلته
أو لم أقله » :

« اذا حدثتم عنى حديثا تعرفونه ولا تنكرونه فصدقوا به ،
فانى أقول ما يعرف ولا ينكر ، واذا حدثتم عنى حديثا تنكرونه ،
فلا تصدقوا به ، فانى لا أقول ما ينكر ولا يعرف » .

– « انى لا أحل الا ما أحل الله فى كتابه ، ولا أحرم الا ما حرم الله
فى كتابه » .

أخرجه الشافعى والبيهقى من طريق طاووس . قال الشافعى : وهذا
منقطع . وقال البيهقى : وقوله : « فى كتابه » – ان صحت هذه –
فانما أراد – فيما أوحى الله ، ثم ما أوحى الله اليه نوعان . أحدهما
وحى يتلى ، والآخر وحى لا يتلى . . وتفسير الكتاب بالوحى مطلقا
صح به الحديث الذى قال الرسول لأبى الأجير الذى زنى بامرأة من كان
يعمل عنده ، وكان الشاب أعزب ، وأراد أبوه أن يكفر عن خطيئته
ويقدم فداء ذلك لزوج المرأة غنما فقال عليه السلام : « والذى نفسى بيده
لاقضين بينكما بكتاب الله : أما أن الغنم والخادم رد عليك ، وأن امرأته
ترجم اذا اعترفت » .

– « لا يمسن الناس على بشىء فانى لا أحل لهم الا ما أحل الله ،
ولا أحرم الا ما حرم الله » .

قال الشافعى : انه من رواية طاووس ، وهو حديث منقطع .
ولو ثبت فمعناه أنه ليس للناس أن يقولوا : كيف يحرم رسول الله
ويحل ما ليس فى القرآن ؟ فان الرسول مشرع ، وهو لا يحل الا ما كان حلالا
فى شرع الله ، ولا يحرم الا ما كان حراما .

– « ان الحديث سيفشو عنى ، فما آتاكم يوافق القرآن فهو عنى ،
وما آتاكم عنى يخالف القرآن فليس منى » .

قال البيهقى : رواه خالد بن أبى كريمة عن أبى جعفر عن رسول
الله ﷺ ، وخالد مجهول ، وأبو جعفر ليس بصحابى . فالحديث منقطع (٣)
وهكذا قال الشافعى : ما روى هذا احد يثبت حديثه فى شىء ، صغير
ولا كبير ، وانما هى رواية منقطعة عن رجل مجهول ، ونحن لا نقبل مثل
هذه الرواية فى شىء (٤) .

ومن رواة هذا الحديث ، من بعض طرقه ، الحسين بن عبد الله ، قال فيه ابن حزم : « الحسين بن عبد الله ساقط ، متهم بالزندقة » (٥) . وقال البيهقي أيضا : والحديث الذي روى في عرض الحديث على القرآن باطل لا يصح ، وهو ينعكس على نفسه بالبطلان ، فليس في القرآن دلالة على عرض الحديث على القرآن (٦) .

- « ان ابا بكر اُحرق خمسمائة حديث وقال : خشيت ان أموت فيكون فيها أحاديث عن رجل أئتمنته ، ووثقت به ، ولم يكن كما حدثني ، فأكون قد نقلت ذلك عنه » أخرجه الحاكم عن عائشة .

ذكر ذلك الذهبي في تذكرة الحفاظ (١ / ٤٥) وأورده بسند الحاكم ، ثم عقب على ذلك بقوله : « فهذا لا يصح » .

- « رحم الله امرأ سمع منا حديثا فوعاه ، ثم بلغه لمن هو أوعى منه » .. ضعيف بهذا اللفظ .

- « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الاسلام » .. اسناده ضعيف . وقال ابن الجوزي : موضوع .

- « من قال في القرآن برأيه فأصاب فقد أخطأ » .. ضعيف .



الاجتهاد الفقهي والخلاف

– « ما رآه المسلمون حسنا فهو عند الله حسن ، وما رآه المسلمون سيئا فهو عند الله سيء » .

حديث موقوف على ابن مسعود ، لم يرفعه الى الرسول ، ويستدل به – من يأخذ بقول الصحابي – على أن من الأدلة الشرعية اجماع الصحابة ، كاجماعهم على انتخاب أبي بكر للخلافة ، ويستدل به أيضا على صحة اجماع اهل العلم ممن لهم القدرة على الاجتهاد المطلق ، فالمقاد لا يسمى عالما . والتقليد هو أن تتبع قولاً وأنت لا تعرف وجهه ودليله ، والاتباع أن تتبع المفتي على ما استبان لك من صحة القول وبرهانه . . . وقد قال بصحة التقليد الحنفية ، ولم يجزه الشافعية ، وفصل الامام البنا الفتوى حسب اختلاف الأفراد واستعداداتهم ومواهبهم فقال في رسالة التعاليم في ركن الفهم (مادة ٧ و ٨) :

« ولكل مسلم يبلغ درجة النظر في أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع اماما من أئمة الدين ، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع في تعرف أدلته ، وأن يتقبل كل ارشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده قول من أرشده وكفايته ، وأن يستكمل نقصه العلمي ، ان كان من أهل العلم ، حتى يبلغ درجة النظر .

والخلاف الفقهي في الفروع : لا يكون سببا للتفرق في الدين ، ولا يؤدي الى خصومة ولا بغضاء ، ولكل مجتهد أجره ، ولا مانع من التحقيق العلمي النزيه في مسائل الخلاف في ظل الحب في الله ، والتعاون على الوصول الى الحقيقة من غير أن يجر ذلك الى المرء المذموم والتعصب » . . .

– « اختلاف أمتي رحمة » .

لا أصل له ، وهو أن أخذ على اطلاقه . كذب ، لأنه لو كان الاختلاف رحمة لكان الاتفاق سخطا ونقمة ، وهذا ما لا يقول به مسلم أو أي عاقل . قال الشافعي : لم أقف له على سند صحيح ولا ضعيف ولا موضوع . وأما المروى عن اختلاف الصحابة : فقد تحرى كل امرئ منهم الحق ، فله أجر اجتهاده ولو كان مخطئا . وهكذا التابعون من الأئمة المجتهدين ، وكل

مسلم يجتهد فى ارادة الخير ، وانما ينحق الذم من ينقدح له نور الحق ، ثم يصير على باطله وخلافه ، واقر الشيخ زكريا الانصارى فى تعليقه على تفسير البيضاوى ما قاله الشافعى عن الحديث من انه لا اصل له . ومن الخطأ الذى انبنى على اعتبار هذه الجملة حديثا . أن العوام تتبعوا فى عباداتهم ومعاملاتهم الفتاوى التى تتفق وأهواءهم ، وتصيدوا من كافة المذاهب ما فيه يسر لهم ، لا ما قوى دليله ، بل ربما خالفوا الفتوى التى يصحبها الدليل ، ويتبعون ما ليس له دليل واضح لهم ، وهذا هو ما يسمى عند الفقهاء « التلفيق » .

وهذا هو الذى حمل بعض العلماء الى الوقوع فى خطأ آخر ، فقالوا : من لم يتمذهب فقد تزندق . . بينما اتفقت كلمة أئمة المذاهب جميعا على مثل قول الشافعى : « اذا صح الحديث فهو مذهبى ، واضربوا بقولى عرض الحائط » ، وقول مالك : « كل انسان يؤخذ من قوله ويترك الا قول صاحب الروضة صلى الله عليه وسلم » .

واصل العبارة «اختلاف امتى رحمة» منسوب الى عمر بن عبد العزيز رحمه الله حين قال : « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » واخذ عبارته احد الفقهاء وجعلها عنوانا لكتاب فى تلخيص الفقه المقارن سماه « رحمة الأمة فى اختلاف الأئمة » ذكر فيه الآراء المختلفة فى الفقه ، وطبع على هامش كتاب « الميزان » للشعرانى فى الفقه المقارن ايضا .

وقال السيوطى فى الجامع الصغير : ولعله خرج فى بعض كتب الحفاظ التى لم تصل الينا .

ـ « اختلاف اصحابى رحمة » .

اخرجه البيهقى والخطيب البغدادي وابن عساكر وأبو العباس الاصم ، كلهم من طريق واحدة ، مدارها على جويير بن سعيد الأزدي ، وهو متروك ، كما صرح غير واحد من النقاد ، ولم يوثقه أحد ، وفيه ايضا سليمان بن ابي كريمة ، وهو ضعيف الحديث .

وقد رواه عن ابن عباس قال : « قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « مهما أوتيتم من كتاب الله فالعمل به ، لا عذر لأحد فى تركه ، فان لم يكن فى كتاب الله ، فسنة منى ماضية ، فان لم يكن سنة منى فما قال

أصحابى ، ان أصحابى بمنزلة النجوم فى السماء . فأيما أخذتم به
اهتديتم ، واختلاف أصحابى رحمة لكم « .

قال عبد الرحمن فاخورى فى تعليقه على السيوطى : وهو من حيث
متنه باطل ، مما يرجح وضع الحديث ، وذلك لأن قوله : « فأيما أخذتم
بقوله اهتديتم » - لا يستقيم ، لأن الحق والهدى فى قول واحد لا أكثر .
- « القائم بسنتى عند فساد أمتى له أجر شهيد » .. ضعيف .
وكذا رواية « أجر مائة شهيد » .

التاسى بالصحابة

- « أصحابى مثل النجوم ، من اقتدى بشيء منها اهتدى » - وفى رواية : « أصحابى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

قال المحدثون : الرواية الأولى موضوعة ، أما الثانية فقول انها ضعيفة ، وقيل موضوعة ، والتضعيف هو المرجح عندهم .

وبالرغم من أن المعنى صحيح ثابت فى القرآن ، فينبغى اتقاء رواية هذين الحديثين مرفوعين ، ويستشهد بما فى القرآن فى فضل الصحابة كقوله تعالى : « والسابقون السابقون . أولئك المقربون . فى جنات النعيم » (١) ، « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه » (٢) ، فان الله لا يرضى عن من كان قدوة سيئة ، وانما عن من كان عمله صالحا صحيحا يتأسى به .

لفظ الحديث - وان لم تصح روايته - معناه ثابت . وفى الحديث الصحيح : « عليكم بسنتى وسنة الخلفاء الراشدين من بعدى ، عضوا عليها بالنواجذ » . أى مقدم الأسنان ، وهذا كناية عن شدة الاستمسك بها .

وسنة الخلفاء الراشدين : هى سنة الرسول ، اما بالنص ، واما بالاستنباط مما ليس نص ، وقد افاض ابن القيم فى اعلام الموقعين ، فى التأسى بالصحابة .

- « أهل بيتى كالنجوم بأيهم اقتديتم اهتديتم » .

واضح فى الحديث روح التشيع ، واردة سحب البساط من تحت اقدام الصحابة ، حتى لا يكون للدين مصدر الا آل البيت .

وقضية اتباع الصحابة فيما لا نص فيه كما قال الحنفية ، وسلك الشافعى فى ذلك مسلکهم فيما لا تبدو عليه مأخذ ، واخذ الظاهرية بقول الصحابى اذا لم يعرف له مخالف فى عصره ، والجميع متفقون على التأسى بالصحابة فى الفضائل ، ورواية الثابت الصحيح عنهم ، وهو لا يتعارض بحال مع النصوص الثابتة .

(١) الرواة : ١٠ - ١٢ (٢) التوبة : ١٠٠

واخذنا عن الصحابة قد يكون أولى من أخذنا عن الأئمة وهم من التابعين أو تابعى التابعين ، شريطة الاطمئنان للفتوى واستقرار القلب على صدق المروى عن الصحابة ، فهم غير معصومين ، وألا يكون ما افتوا به موضع خلاف بينهم ، والا وجب اعمال الفكر لترجيح ما يكون عليه العمل .
- « أنا مدينة العلم وعلى بابها » (كشف الخفا : ٦١٨/١) .

رواه الخطيب عن ابن عباس مرفوعا . ورواه الطبراني وابن عدى والعقيلي وابن صايد عن ابن عباس أيضا مرفوعا . كل ذلك فى الضعفاء .
ورواه الترمذى وأبو نعيم وغيرهما عن على بلفظ أن النبى ﷺ قال : « أنا دار الحكمة وعلى بابها » - وهذا حديث مضطرب كما قال الدارقطنى فى العلل ، أما الترمذى فقال : أنه حديث منكر ، فهو حديث باطل . وقد روى ابن عساكر عن أبى سعيد اسماعيل بن المثنى الاسترأباضى ، إذ كان يعظ بدمشق ، فقام اليه رجل فسأله عن قول النبى : « أنا مدينة العلم وعلى بابها » . فأطرق اسماعيل لحظة ، ثم رفع رأسه وقال : لا يعرف هذا الحديث عن النبى الا من كان صدرا فى الاسلام ، انما قال النبى ﷺ : « أنا مدينة العلم ، وأبو بكر أساسها ، وعمر حيطانها ، وعثمان سقفها ، وعلى بابها » . وقد سر الحاضرون بذلك وطلبوا الى اسماعيل أن يذكر لهم اسناده ، فاغتم لعجزه (٣) .

وقال البخارى : هذا الحديث ليس له وجه صحيح ، وقال يحيى ابن معين : أنه كذب لا اصل له . وذكره ابن الجوزى فى الموضوعات . والواقع أن الجهل بالسنة والضلال فى متاهاتها كثير ، حدثنى الأئمة الشيخ نجيب المطيعى - رحمه الله - أن بعض الشباب الذى خدعته بعض القراءات فى الكتب الصفراء - ممن يهاجمون العمل الاسلامى والمذاهب الاسلامية ، وظنوا أنهم بلغوا درجة الاجتهاد - جاءوا اليه ليناقشوه فى بعض القضايا الاسلامية المطروحة فى مصر يومها ، لاحداث ما يشغل الناس بها ويشطرهم حولها فرقا متناحرة . وقالوا : نحن لا نسلم لك بما تقول الا اذا اتيت لنا بالدليل من الكتاب أو السنة ، فقال لهم : روى على السماك عن البزاز . . الى آخر ما قال من اسناد وامت . فقالوا : الآن لك حق . وقد افحمتنا . . فقال لهم : يا جهلة انما أردت بعلى السماك :

(٣) حياة محمد للدكتور محمد حسين هيكل ، ص ٥١ ، ٥٢ ،
الدابة التاسعة سنة ١٩٦٥ .

ذلك الذى فى حلقة بيع السمك ، والبزاز ذلك الذى يبيع الأقمشة فى شارع الموسكى بالقاهرة - وهكذا ذكر لهم بيان من اورد ذكرهم من الكادحين فى الحى . . وقال لهم : اتقوا الله واحترموا من سبقوكم من العلماء ولا تغلوا فى دينكم غير الحق ، ولا تتبعوا أهواء قوم قد ضلوا من قبل واضلوا كثيرا .

- « لو وزن ايمان أبى بكر بايمان العالمين لرجح » .

أخرجه ابن عدى من حديث ابن عمر مرفوعا باسناد ضعيف ، ورواه البيهقى فى الشعب مرفوعا عن ابن عمر باسناد صحيح كما قال العراقى ، فعلى الأخ الداعى أن يروييه على أنه من كلام ابن عمر .

● التجديد والمجددون :

- « ان الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها » (كشف الخفاء : ١ / ٧٤٠) .

رواه أبو داوود عن أبى هريرة عن رسول الله ﷺ ، وأخرجه الطبرانى فى الأوسط عن أبى هريرة أيضا . بسند رجاله ثقات ، وأخرجه الحاكم من حديث ابن وهب وصححه ، وقد اعتمد الأئمة هذا الحديث .

قال ابن كثير : وقد ادعى كل قوم فى امامهم أنه المراد فى هذا الحديث ، والظاهر - والله أعلم - أنه يعم حملة العلم من كل طائفة ، وكل صنف من اصناف العلماء . من مفسرين ومحدثين ، وفقهاء ، ونحاة ولغويين ، الى غير ذلك من الاصناف .

- « آفة الدين ثلاثة : فقيه فاجر ، وامام جائر ، ومجتهد جاهل » . . موضوع ، وهو مثل سائر .



الفرق

– « لتفترقن أمتى على ثلاث وسبعين ، وواحدة فى الجنة وثنتان وسبعون فى النار » .

هذه هى الرواية المشهور ولكن رواية الديلمى : « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة ، الهالك منها واحدة » .

وروى الشعرانى فى الميزان من حديث ابن النجار ، وصححه الحاكم بلفظ « غريب » بلفظ : « ستفترق أمتى على نيف وسبعين فرقة كلها فى الجنة الا واحدة » .

وفى هامش الميزان عن أنس عن النبى ﷺ بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة ، كلها فى الجنة الا واحدة ، وهى الزنادقة » .
وفى رواية عنه أيضا « تفترق هذه الأمة على بضع وسبعين فرقة ، انى اعلم أهداها . . الجماعة » .

وفى تخريج احاديث مسند الفردوس للحافظ ابن حجر بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة كلها فى الجنة الا واحدة ، وهى الزنادقة » . . أسنده عن أنس ، قال ابن حجر : وأخرجه أبو يعلى من وجه آخر عن أنس بلفظ : « تفترق أمتى على بضع وسبعين فرقة . أهداها فرقة الجماعة » .

ولعل وجه التوفيق : أن المراد بأهل الجنة فى هذه الروايات المغايرة للرواية المشهورة أهل الجنة ولو مالا بعد أن يقال : أخرجوا من النار من كان فى قلبه مثقال خردلة من ايمان . الخ الحديث . والله أعلم (كشف الخفاء ومزيل الالباس عما اشتهر على ألسنة الناس للعجلونى : ٤٤٦/١) .
وهذه الفرق كالبهائية والقاديانية والنصيرية والاسماعيلية وأما غيرهم كالخوارج والمعتزلة فليسوا ببدعتهم كفارا خالدین فى النار كما قال ابن الجوزى فى تلبیس ابليس (ص ١٨) – ولهذا قال ابن تيمية : من قال ان الثنتين وسبعين فرقة كل واحد منها يكفر كفرا ينقل عن الملة فقد خالف الكتاب والسنة واجماع الصحابة رضوان الله عليهم أجمعين (١) .



(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ، ج ٧ ص ٢١٨ – وسالم البهنساوى فى « السنة المفتري عليها » ص ٢٨ ، ٢٩ ، الطبعة الثانية – دار البحوث العلمیة بالكویت .

القياس الفقهي ٠٠ وحديث معاذ

- روى- من طرق- عن شعبة عن أبي العون عن الحارث بن عمرو -
أخى المغيرة بن شعبة عن أصحاب معاذ بن جبل عن معاذ أن النبي ﷺ
حين بعته الى اليمن قال له : « كيف تقضى اذا عرض لك قضاء » ؟ قال :
أقضى بما فى كتاب الله ، قال : « فان لم يكن فى كتاب الله » ؟ قال :
بسنة رسول الله ، قال : « فان لم يكن فى سنة رسول الله » ؟ قال : اجتهد
رأبى لا آلو . قال : فضرب رسول الله ﷺ صدرى وقال : « الحمد لله
الذى وفق رسول الله لما يرضى رسول الله » .

هذا الحديث أخرجه أحمد (٢٣٠/٥ ، ٢٤٢) وأبو داود فى
السنن (١١٦ / ٢) وأبو داود الطيالسى فى مسنده (١ / ٢٨٦)
والخطيب فى الفقيه والمتفقه (٩٣/١ و ١٢ - ١١٣ مخطوطة الظاهرية) ،
والبيهقى فى سننه (١١٤/١٠) وابن حزم فى الاحكام (٢٦/٦ و ٣٥
و ١١١/٧ - ١١٢) . وقد زعم الألبانى - تبعاً لآخرين سبقوه - أن
الحديث منكر .

أولاً : لأن العقيلي روى عن البخارى أن الحديث مرسل ، فهو عن
« أصحاب معاذ » وليس عن معاذ .

ثانياً : لأن الذهبى قال : تفرد به أبو عون محمد بن عبيد الله الثقفى
عن الحارث ، ومن روى عن الحارث - غير أبى عون فهو مجهول ، وقال
الترمذى : ليس اسناده - عندى - بمتصل ، قال الألبانى : ولذلك جزم
الحافظ فى التقریب بأن الحارث مجهول . وقال ابن حزم : حديث
ساقط ، لما ذكر ، ولجهالة صحابة معاذ . فنحن لا نعرف من هم .

● دفع الشبهات :

١ - قال ابن القيم (١) : وأصحاب معاذ ، وان كانوا غير مسمين ،
فلا يضر الحديث عدم تسميتهم ، لأن هذا يدل على شهرة الحديث ، وشهرة

(١) اعلام الموقعين : ٢٤٣/١

اصحاب معاذ بالعلم والدين والفضل والصدق وأنهم من ذلك بالمحل الذي لا يخفى ، ويمثل قول ابن القيم قال الخطيب البغدادي من قبله في الفقيه والمتفقه .

٢ - أما القول بجهالة « الحارث » فينفيه ان الحارث لم يكن مجهول العين ، بالنظر الى ان شعبة بن الحجاج (٢) - المعروف بالتشدد في الرواية ، يقول عنه : انه ابن أخى المغيرة بن شعبة ، فهو يعرف حسبه ونسبه ، كما ان الحارث مجهول الوصف ، حيث انه كان من كبار التابعين ، في طبقة شيوخ أبى عون الثقفى المتوفى سنة ١١٦ هـ ، ولم ينقل أهل الشأن جرحا مفسرا فى حقه ، ولا حاجة - للحكم بصحة خبر التابعى الكبير - الى أن ينقل توثيقه من أهل طبقتة ، بل يكفى فى عدالته وقبول روايته ألا يثبت فيه جرح مفسر من أهل الشأن ، كما ثبت من بالغ الفحص على المجروحين من رجال تلك الطبقة ، أما من بعدهم فلا تقبل روايتهم ما لم تثبت عدالتهم ويقع توثيقهم .

٣ - وقد ذكر ابن حبان « الحارث » فى الثقات ، وان جهله العقيلى وابن الجارود وأبو العرب .

وقال الألبانى : ان الذى قال : ان الحارث أخو شعبة ، ليس هو المغيرة بن شعبة ، وانما هو من قول الراوى - أبى عون - ولو سلمنا بقول الألبانى لكان فيه دلالة على قصد الراوى ازالة الجهالة عن الحارث بكلمته تلك ، والراوى نفسه ثقة لا ينكر الألبانى ذلك ، بل انه ليثبت ذلك ويقرره .

ثم ان رواية العدل عمن سمعه فيها توثيق له ما لم تظهر قرينة تمنع ذلك . وقيل : ان الرواية لا تستلزم توثيق المروى عنه . وأنا أرجح أن رواية الخبر عن فرد تحمل التوثيق له . وتوجب العمل بالنص ما لم يكن هنالك تعارض بين المروى وغيره من الصحيح .

ومع أن جمهرة المحدثين قالوا بضعف الاسناد ، فانهم قالوا : ان معناه صحيح ، وقد أشكل على الألبانى هذا القول فقال : انه صحيح المعنى فيما يتعلق بالاجتهاد عند فقد النص ، ولكنه ليس صحيح المعنى فيما يتعلق بتصنيف السنة مع القرآن .

(٢) شعبة بن الحجاج بن الورد العتكى ولاء ، أبو بسطام (٨٠ - ١٦٠ هـ) ، قال عنه ابن معين : انه امام المتقين (فى عصره) . وقال عنه أحمد : شعبة أمة وحده .

وقد جانبه الصواب ، لأن النص موجود فى هذا الأمر « فان لم يكن فى كتاب الله ؟ قال : فبسنة رسول الله ﷺ . وهذا يعنى أن السنة هى المرجع فيما لم يأت القرآن ببيان حكمه ، فالقرآن يفهم مع ما يخصه ، أو يقيده من السنة ، لا يعرف معنى الأخذ من الكتاب الا بهذا . ومن ثم كان كلام السابقين فى هذا المقام هو الأولى بالقبول . رحمهم الله وإيانا أجمعين .

– « ادراوا الحدود بالشبهات » . .

روى عن على مرفوعا ، وفى اسناده المختار بن نافع . قال البخارى : وهو منكر الحديث ، ومع هذا فانه يصلح للاحتجاج به – كما قال الشوكانى – لما يعضده من أحاديث أخرى كحديث سفيان الثورى عن عاصم عن أبى وائل عن ابن مسعود : « ادراوا الحدود بالشبهات . ادفعوا القتل عن المسلمين ما استطعتم » .

وهكذا روى عن عقبة بن عامر ، ومعاذ أيضا موقوفا ، وروى منقطعا وموقوفا على عمر باسناد صحيح ، كما روى أيضا فى مسند أبى حنيفة للحارثى عن طريق مقسم عن ابن عباس مرفوعا بلفظ « ادراوا الحدود بالشبهات » .

ويلاحظ أن الرواية صادرة عن ولاية المسلمين الذين تجب طاعتهم وتلقيت بالقبول ، عمر أمير المؤمنين وعقبة بن عامر والى مصر ، وعلى أمير المؤمنين ، ومعاذ أمير اليمن وقد أخرج البيهقى وعبد الرزاق عن عمر انه عذر رجلا زنى فى الشام وادعى الجهل بتحريم الزنا ، كذا روى عنه وعن عثمان أنهما عذرا جارية زنت وهى أعجمية ، وادعت أنها لم تعلم التحريم (٣) .

● من أقر أنه زنى بامرأة فجددت :

– « ان رجلا من بكر بن ليث أتى النبى ﷺ ، فأقر أنه زنى بامرأة أربع مرات ، فجلده مائة ، وكان بكرا – ثم سأله البينة على المرأة ، فقالت : كذب يارسول الله ، فجلده حد الفرية ثمانين » .

وفى اسناده القاسم بن فياض الصنعانى ، تكلم فيه غير واحد ،

(٣) نيل الأوطار : ٢٧٢/٧

حتى قال ابن حبان : انه بطل الاحتجاج به . وقال النسائي : هذا حديث منكر . . وقد عمل الشافعي ومحمد والهادوية بالحديث المذكور لأن له شاهدا عن سهل بن سعد .

– « ان رجلا جاء الى النبي ﷺ فقال : انه قد زنى بامرأة – سماها – فأرسل النبي ﷺ الى المرأة فدعاها ، فسألها عما قال فأنكرت ، فحده وتركها » .

رواه أحمد وأبو داود – وفي اسناده عبد السلام بن حفص ، أبو مصعب المدني . قال ابن معين : ثقة ، وقال أبو حاتم الرازي : ليس بمعروف . وقال مالك : يحد للزنا لا للقذف ، وهو رواية عن الشافعي – وقال الأوزاعي وأبو حنيفة : يحد للقذف فقط ، لأن انكارها شبهة ، وأجيب بأنه لا يبطل به اقراره ، والواقع أن حديث سهل وان لم ينص على حد القذف بعينه ، فإنه لم ينف وقوعه . بل أجمل فقال « فحده » أي الحد المطلوب عن الزنا باقراره وعن القذف (٤) .
